مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 29، أكتوبر 2021، ص - ص: 351 – 370
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

أهمية تكنولوجيات الإعلام والاتّصال في الدّعوة والثّقافة الإسلاميّة

The Importance of Information and Communication Technologies in the Islamic Culture and Call

طالب دكتوراه ميلود قرفة
كلّية العلوم الإسلاميّة، جامعة باتنة 1
miloud.guerfa@univ-batna.dz

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر، تاريخها، مصادرها، أعلامها

تاريخ الإرسال: 2020/07/01 تاريخ القبول: 2021/04/13

الملخّص:

تعتبر تكنولوجيات الإعلام والاتصال من أبرز فتوحات المدنية الحديثة، لكونها فرضت نفسها على إنسان القرن الواحد والعشرين بشكل رهيب وأَسَرت لبّه وجعلته يستحضرها في كلّ شؤون حياته، إلى درجة أنّها صارت لها تأثيرات بالغة حتّى على عقيدته ودعوته وهوّيته وأفكاره وثقافته.

والمسلم اليوم يعيش تخلُّفا رهيبا في مختلف الصّعد وَسْطَ فورة تكنولوجية إعلامية واتصالية خارقة للعادة، جعلت لهذه التكنولوجية تداعيات إيجابية وسلبية على دينه وهوّيته ومجتمعه ورسالته في الحياة.

وفي هذه الدّراسة؛ تمّ استقراء التّأثيرات الإيجابية لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، والعمل على تثمينها وتوظيفها وتطويعها لخدمة الدّعوة والثّقافة الإسلامية في جانبها الديني واللغوي والأسري.

وفي المقابل أيضا تمّ استعراض تأثيراتها السّلبية على تلك المجالات، والقيام ببيان كيفية تجاوزها من خلال استثمار وسائل الإعلام والاتصال التقليدية والحديثة واستغلالها الاستغلال الأمثل في خدمة الدّعوة والثّقافة الإسلامية، وللتّمكين لدين الله ونشر الدّعوة الإسلامية في العالم، ضمن أداء واجب شرعي أمر الله به في كتابه الكريم واقتداء بنبينا محمد ﷺ في مسيرته الدّعوية حيث بلّغها إلى النّاس كافة، وكذا تأسّيا بأسلافنا من أهل القرون الثّلاثة الأولى من الصّحابة والتّابعين وتابعيهم إلى يوم الدّين.

الكلمات المفتاحية: تكنولوجيات، الإعلام، الاتّصال، الدّعوة الإسلامية، الثّقافة الإسلامية.

Abstract:

Information and communication technologies (ICTs) is consider nowadays the most thing focused by 21st century human being. As it interferes in every domain of his life, yet it affects his ideas, religion, and culture all in one.

Thus, Muslims are facing a huge problem owing to this incredible revolution in technology and communication, the latter had influenced positively and negatively Muslim's religion, identity and society.

This study addresses the positive effects of information and communication technologies, and the way it is invested to serve Muslim's religion and culture. In turn the study sheds light on the negative effects of ICTs, and displayed the way to avoid it through using these technologies in a way that suits Muslim's religion and principles, thus apply our religion

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

duties as mentioned in the holly "Quraan" and "Sunna", as well as following the former "Saaba" and their followers.

Key words: Technologies, Information, Communication, Islamic culture, Islamic call.

مقدمة:

إنّ لجنة **شون ماكبرايد الإيرلندي** التي ترأسّها في أواخر سبعينيات القرن العشرين (1977م)، والتي ضمّت ستة عشر (16) عضوا ينتمون إلى جميع بقاع العالم، ويمثلون إلى حدٍّ كبير جميع الاتجاهات العقائدية والسياسية والاقتصادية والجغرافية في العالم[1]، طرحت وقتها جملة من الأفكار وأقرّتها وصارت حقيقة ماثلة اليوم؛ من تلك الأفكار مقولة أنّ العالم صار **"قرية صغيرة"**، فما مِنْ حَدَثٍ محليّ أو إقليمي أو عالمي، وما من تصريح أفقي أو عمودي، أو اختراع تكنولوجي، أو فكرة مِنَ الأفكار يتمُّ طرحها أو غيرها ممّا يطرأ على العالم مُهِمًّا كان أو أقلّ أهميّة، إلا وبلغ الآفاق وشاع وانتشر وبلغ أقصى مداه، وكان له تأثيره إنْ بالإيجاب أو بالسّلب، وهذا بحسب ما يمتلكه متلقّي الرّسالة من وازع ديني أو رصيد علمي أو وعي ثقافي، وكذا بحسب قوّة الوسيلة وفعاليتها، وأيضا بحسب ما تحمله رسائلها من مضامين إلى الجمهور المستهدف بها، عن طريق وسائل الإعلام الجماهيرية التقليدية والحديثة على غرار الإعلام الجديد المتدفّق اختراعا ومضمونا، لأجل تحقيق مقاصد وغايات تأثيرية أو تغييرية، على المدد القريبة أو المتوسطة أو البعيدة.

فإذا كانت تكنولوجيات الإعلام والاتصال بهذه الأهمية في الارتقاء بالأمّة وتطويرها وتحقيق الازدهار ونشدان التّحكّم في العالم وقيادته إلى الخير والسعادة، قد تكون في المقابل أحد الأدوات الخطيرة في الإضرار بمبادئ وقيم الأمّة الإسلامية فتجعلها تنسلخ من دينها وهويتها، وتجعلها تذوب في غيرها من الأمم المادية الملحدة والعلمانية التي أخذت بأسباب القوة لقيادة العالم.

بهذا المنظور الماثل أمام الباحث والذي يترجمه الواقع، يمكن القول كفرضية؛ بأنّ هذه التّكنولوجيا هي سلاح ذو حدّين من حيث النفع والضّرر.

وعليه يجدر طرح التّساؤلات الآتية: كيف يمكن توظيف وسائل الإعلام والاتصال في خدمة الدعوة والثّقافة الإسلامية؟ وما السبيل إلى تفادي محاذير هذه التكنولوجيات المؤثرة بالسّلب على الدعوة الإسلامية في القرن الواحد العشرين، قرن الفورة التكنولوجية العارمة وبخاصة في عالم الإعلام والاتصال؟ ومن خلال مفاصل هذه الورقة البحثية تتجلّى الإجابة عن تلك التّساؤلات وغيرها.

أوّلا: تحديد مفاهيم الدّراسة:

قبل الحديث عن أهمية وخطورة تكنولوجيات الإعلام والاتصال في الدّعوة الإسلامية، ينبغي منهجيا الوقوف عند مدلول تكنولوجيا الإعلام والاتصال، والدّعوة الإسلامية.

1- التكنولوجيا:

مشتقة من اللفظة الإنجليزية (technology)، والفرنسية (technologique) وتعني بالعربية: التَّقانة أو التقنية أو الوسائل التقنية[2].

وكلمة **"تكنولوجيا"** كلمة معرّبة لا أصل لها في كتب اللغة والقواميس، وما يقابلها في اللغة العربية هو مصطلح **"التّقنية"**، وكلمة **"تكنولوجيا"** مكونة من مقطعين هما: **"تكنيك":** والذي معناه: الطريق أو الوسيلة، و**"لوجي"**: والتي تعني العلم، وبالتالي يكون معنى الكلمة إجمالا: "علم الوسيلة الذي بها يستطيع الإنسان أن يبلغ مراده"، أمّا **الاتّصال:** "فهو تبادل الأفكار والمعلومات والآراء بين الطرفين، أو أكثر عن طريق أساليب ووسائل مختلفة مثل: الإشارة، الكلام، القراءة، والكتابة، وبالتالي نعني بكلمة؛ **تكنولوجيا**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاتّصال: "أيُّ أداة أو جهاز أو وسيلة تساعد على إنتاج وتوزيع أو تخزين أو استقبال أو عرض البيانات واسترجاعها"[3].

فتكنولوجيا الاتّصال: "هي مجموع التّقنيات والأدوات أو الوسائل أو النظم التي توظَّف لمعالجة المضمون أو المحتوى الذي يراد توصيله بعملية الاتصال الجماهيري أو الشخصي أو الجمعي أو التنظيمي، حيث تُجمع المعلومات والبيانات المسموعة والمكتوبة والمصورة والمرسومة والمسموعة والمرئية والمطبوعة والرقمية عن طريق الحاسوب الإلكتروني، ثم تخزين هذه البيانات والمعلومات ثم استرجاعها في الوقت المناسب، ثم عملية نشر هذه المواد الاتصالية، أو الرسائل، أو المضامين المسموعة أو المرئية أو المطبوعة أو الرقمية ونقلها من مكان إلى آخر وتبادلها"[4].

إنّ الاتصال من أقدم أوجه النشاط الإنساني اليومية، يدور حول استقبال أو إرسال اتصال بالكلام أو المشاهدة أو الاستماع أو القراءة أو الكتابة أو الإشارة، وقد يكون بين شخصين أو جماعتين، أو بين شخص وجماعة أو العكس.

ولقد أوصل **هارولد لازويل** عناصر الاتصال إلى خمسة عناصر وهي: المرسل والرسالة والوسيلة والمستقبل ورجع الصدى (النتيجة)، فيكون بذلك؛ مجموعة متنوعة من الوسائل والأدوات الاتصالية المتوفرة لدى الإنسان، ومجموعة من الكيفيات والعمليات التي يقوم من خلالها بتوظيفها في تحصيل وتبادل المعلومات والمعارف ثم استخدامها في شؤونه المادية والمعنوية، فعملية الاتصال بين الناس من حيث المبدأ؛ أمر فطري ملازم للإنسان منذ وجوده وإلى فَنَائِه، فهو دائم ومتطور ومتنامٍ في صوره وأشكاله وأساليبه ووسائله وآلياته، متماشيا مع تطور الحياة الإنسانية في شتى المجالات.

2- الإعـــلام:

في اللغة: مأخوذ من مادة(عَلِمَ)، وعلم الشيء علما: عرفه، وشعر ودرى به، وأيقن به، وصدّقه، وأتقنه، وأعلم فلانا الخبر: أخبره به، وأعلم فلانا الأمر حاصلا: جعله يعلمه، واستعمله الخبر: استخبره إياه، والعلم: إدراك الشيء بحقيقته، وهو نقيض الجهل"[5].

وفي **الاصطلاح**: تباينت آراء الدارسين والمتخصصين في تعريفه، حيث تأثر كل عالم بمجال علمه، واتسع مفهومه في عصرنا الحاضر، وقد اقتصرتُ على تعريف مرعي مدكور لاشتراكه مع تعريفات غيره المتخصصين وإيفائه بالمعنى المراد حيث قال: "الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحفية والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي عام صائب في واقعة من الوقائع أو في مشكلة من المشكلات، بحيث يعبِّر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتها وميولها"[6]، ويؤيد هذا التعريف تعريف العالم الألماني (أتوجروت): "التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير ولروحها ولميولها واتجاهاتها"[7].

ففي القرن الحالي؛ (القرن الواحد والعشرون) يشهد الإعلام تطورا كبيرا، بفضل التطور التكنولوجي المتنامي، حيث لم يبق محصورا في الصحف والإذاعة والتلفزيون، بل تعداها إلى الأنترنت، الرسالة الإلكترونية، النشر الإلكتروني، الفاكس، الهاتف النقال، البريد الإلكتروني، والأحاديث والرسائل المباشرة وغير المباشرة بالفاكس وبالهاتف وبالإعلان[8]، وفي بداية القرن الواحد والعشرين الميلادي ظهر الإعلام الجديد من خلال وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة مثل: (الفيسبوك، التويتر، الواتساب، الانستغرام، اليوتيوب وغيرها، فصارت لها آليات جديدة في الاتّصال والتواصل والإعلام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبناء على التّعريفات السابقة، يمكن القول؛ بأنّ الإعلام هو كل ما ينقله المرسل فردا أو جماعة إلى المستقبل فردا أو جماعة بكل ما تيسّر لديه من وسائل التواصل القديمة والحديثة، وما يمكن أن يستجدّ منها فيما يُستقبَل من الزمن، بغية تبليغ الرسائل قصد التأثير في المتلقي وإقناعه أو تغيير واقعه، وفق ما يريده مرسل الرسالة الإعلامية.

3- الدّعوة الإسلامية:

الدّعوة في اللغة كلمة مشتقة من الفعل الثّلاثي دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً ودُعَاءً، والاسم: الدَّعْوَةُ، والقائم بها يسمَّى دَاعِيَةً، والجمع: دُعَاةٌ، وعليه فمشتقات الدَّعْوَةِ في اللغة تدور مضامينها حول عدّة معانٍ أهمّها: الاستمالة، النِّداء، الطَّلب، الدُّعَاءُ، الاستحضار، الاجْتِمَاعُ، الأَذَانُ، السُّؤَالُ، الرَّغبَةُ، التّمنّي، الحَثُّ والدِّعَايَةُ...إلخ[9].

والدّعوة في الاصطلاح: لها تعريفات عديدة منها:

1- "المقصود بالدّعوة إلى الله الدّعوة إلى دينه وهو الإسلام، الذي جاء به محمد ﷺ من ربّه سبحانه وتعالى، فالإسلام هو موضوع الدّعوة وحقيقتها".[10]

2- عرّفها أبو الفتح البيانوني بقوله: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[11].

3- وعرّفها أحمد عيساوي بقوله: "هي محصِّلة النّشاط الاتّصالي الشّمولي الذي يمارسه الدّعاة الإسلاميون في مرحلتي التّغيير والبناء على الصّعيدين المحلّي والعالمي بهدف التّعريف برسالة الإسلام، التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك عبر مختلف الوسائل والتِّقَنِيَّات الحضاريّة الممكنة تأسيسا على الأطر المرجعيّة المقدّسة منطلقا وممارسة ومنهجا وأسلوبا وهدفا"[12].

وتأسيسا على التعريفات السابقة للدّعوة الإسلامية؛ يمكن القول بأنّها: قيام المسلمين المكلّفين ببذل الجهد واستفراغ الوُسع لتبليغ رسالة الإسلام إلى الناس كافّة والتّعريف بها، بوسائل وأساليب مشروعة، حتّى يعتنقوها ويعملون بها في جميع شؤون حياتهم، ليسعدوا في الدنيا والآخرة، ويفوزوا برضوان الله تعالى.

4- الثّقافـــة:

الثّقافة في اللغة: مصدر (ثَقُفَ)، ومن معانيها: الفطنة والحذق، وسرعة الفهم، التهذيب، وتقويم المعوج، وتستعمل في الأمور المعنوية أكثر من المعاني المادية[13].

وفي الاصطلاح: لها تعريفات عديدة أهمها: "هي التراث الحضاري والفكري النظري والعملي، الذي تتميّز به أمّة ما، وينسب إليها، ويتلقاه أفرادها في حياتهم"، وعرّفها مجمع اللغة العربية بأنّها: "العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها"[14].

وأمّا معنى **الثّقافة الإسلامية؛** فقد ذكر الدّارسون والمفكرون المسلمون تعريفات عديدة تتمحور حول الإسلام، منها أنّها تعني: "الشخصية الإسلامية التي تقوم على عقيدة التوحيد وعلى تطبيق الشريعة الإسلامية والأخلاق الإيمانية المستقاة من مصادر الإسلام الأساسية وهي الكتاب والسُنَّة"[15].

وعليه؛ **فالثقافة الإسلامية**: هي الإلمام بأهمّ المعارف والعلوم الإسلامية والإنسانية العامّة مثل: العادات والتقاليد والفنون والآداب واللغة في إطار مقاصد وضوابط الإسلام الذي تضبطه مرجعية مقدسة أساسها القرآن والسُنَّة واجتهادات الصحابة والتابعين وتابعيهم رضي الله عنهم، والأئمة عبر العصور فلا تخرج عن روحه ولا تصادم أصوله وركائزه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيا: الاتّجاهات التّأثيرية لتكنولوجيا الإعلام والاتصال على الدّعوة والثقافة الإسلامية:

إنّ عالم القرية الصغيرة حسب اصطلاح **"لجنة شون ماكبرايد"**، الذي ضيّق اسمه بعض المتخصّصين اليوم إلى اصطلاح أكثر حصرا فأسموه بأسماء أخرى كالغرفة الصغيرة، أو أيقونة في سطح مكتب حاسوب، أو في هاتف ذكي محمول، والذي يشكّل عالمنا العربي والإسلامي اليوم أحد أركانه الرئيسة وأحد أطرافه الفاعلة فيه، أو بالأحرى المفعول به في الغالب، فهو ليس بمنأى عن هذا الفضاء الواسع الذي نُعِتَ بكل تلك الأوصاف، يحكمه مدٌّ وجزرُ التغيُّرات المحلية والإقليمية والعالمية المتسارعة والمتقلبة، سواء في العالم المادي في جانبه التكنولوجي الاتصالي والإعلامي، أو في العالم المعنوي والأدبي في جانبه العقائدي التصوري والفكري والثقافي.

فتكنولوجيا الإعلام والاتصال الكثيرة المتنوعة والمتطورة، من خلال أشكالها ومضامينها وتطبيقاتها الفائقة الفعّالية، ومن خلال استعمالاتها الكثيرة والمتواصلة دون انقطاع من طرف شرائح المجتمعات المتباينة سِنًّا ومستوى والمتباينة ماديا وعلميا، والموزعة في هذا العالم المترامي الأطراف محليا وإقليميا وعالميا، برزت في تأثيراتها على واقع الإنسان بمختلف شرائحه، وعلى مرجعياته وعقائده وتصوراته وأفكاره، بل وحتى على مواقفه وسلوكاته، فما كان من مضامينها خادما للإنسان، فهذا من تأثيراتها وفتوحاتها الإيجابية عليه، وهنا ينبغي استثمارها واستغلالها الاستغلال الأمثل وتوظيفها فيما يقدّم النفع بحسب سلَّم الأولويات من حيث الأهمية: الأكثر أهمية، فالأهمّ، فالمهم، فالأقل أهمية.

وفي المقابل ما كان عامل هدم وتشويه وإضرار، فهذا من تأثيراتها السلبية عليه، وبالتالي ينبغي تحمّل المسؤولية بالتوقف عندها ببحثها ودراستها بعمق وجدّية، ومحاولة إيجاد الحلول المناسبة لإيقاف تداعياتها السلبية وإيجاد البدائل والطرق والوسائل والأدوات والآليات الكفيلة بترشيدها وحسن استعمالها واستغلالها فيما يحقق النفع العام ويحقق المصالح العليا للإنسان المكرّم.

إنّ واقع العالم الإسلامي اليوم يعيش هَجْمات كثيرة في شتى المجالات؛ وكثيرُها منشؤه السياسات الممارسة من قِبَلِ أنظمته -أنظمة العالم الإسلامي- وقياداته الحاكمة، وسياساتها تجاه الآخر الذي يترصّد ساكنة العالم الإسلامي، ويعمل على احتوائها وتدجينها وتسخيرها لخدمة مصالحه.

مِنْ هذه الهَجْمات القديمة الحديثة؛ استهداف الغرب لثوابت العالم الإسلامي، بَدْءً بمحاولات تشويه دينه وتهميش لغته واختراق نواة مجتمعاته - الأسرة-، لجعله يعيش انفصاما في شخصيته، وانتهاء بخرق سيادة أوطانه وبسط نفوذه على أراضيه ونهب خيراته واستغلال مقدّراته.

وليس بعيدا عن السّاحة العالمية، تعيش الأمّة الإسلامية تدافعا بين عقائد وأفكار وفلسفات وأيديولوجيات متناقضة على أراضيها، وما زاد الأمرَ تعقيدا، والتَّحدّيَ تعاظما؛ ما تعانيه من ضعف وتخلف وفساد في كلّ الميادين، وخضوعٍ وتبعيةٍ وعمالةٍ للغرب، وما تشهده من حروب وخلافات واضطرابات وفُرقة تزداد شرخا يوما بعد يوم، بالإضافة إلى كونها غير منتجة وبخاصة في عالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال، لأنّ بهذه المنتجات العالية الدّقة المتناهية التطور تُدار وتُسيَّر شؤون العالم كلّه، لهذا جعل الغرب منها أحد مصادر ثروته وموارده المالية التي تُدِرُّ عليه أرباحا وفيرة، بل صارت من أهم حقوله الحيوية في الاستثمار، ليسوِّقَ إليه منتجاته المتنوعة، فاستطاع أن يجعل منه مستهلِكا كبيرا لها بامتياز، بل وجعل من هذه التّكنولوجيا الجديدة أحد السّبل الفعّالة في صناعة الرأي والقناعات وتوجيه وإدارة المواقف والسّلوكات، ومن هنا وجدت الأمة الإسلامية نفسها أمام معالم طريق مزدوج يسير في اتجاهين متباينين على اعتبار أنّ تكنولوجيات الإعلام والاتّصال بالنسبة للدّعوة الإسلامية تُعتَبَر سلاحا ذو حدّين، ويتمثّل الاتّجاهان في:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاتّجاه الأوّل: والذي يَعمل على جعل تكنولوجيا الإعلام والاتصال وسيلة ناجعة في الصدّ عن الدّعوة الإسلامية والوقوف في وجهها سدا منيعا، وتسخيرها في تشويه الإسلام ومحاربته والتخويف منه، فأشاع ما يعرف بـ: **(الإسلاموفوبيا)**، وهذا ما ثبت حقيقة قارّة عند الإنسان الغربي.

ويمثّل هذا الاتّجاه الغرب الصّليبي المتصهين والإمبريالية العالمية، حيث سخّر هذه التكنولوجيا لنشر دياناته المحرّفة وأفكاره الباطلة وتحقيق مصالحه الخاصّة، ووظّفها بقوّة لمحاربة الإسلام والمسلمين داخل وخارج أوطانهم(16).

لهذا عمل القائمون على وسائل الإعلام والاتصال بتقنياتها العالية الجودة، من السّاسة والمنظِّرين والخبراء والمتخصّصين من نخب الغرب على تثبيت هذه الهواجس في تصورات الإنسان الغربي من خلال ما يقدّمون له من الأخبار والأفلام والبرامج الوثائقية والترفيهية والتعليمية والإعلانية والإشهارية وغيرها، بالإضافة إلى تعبئة فئة عريضة ممّن هم على شاكلته من التّغريبيين والمغتربين الذين تأثّروا بأفكاره وفُتنوا بحضارته المادية وبتصوراته وقناعاته الفكرية، فَسَخَّرَ كلَ الوسائل والإمكانات المتاحة لديه في ذلك، وعمل على استثمار هذا الانفجار التكنولوجي الإعلامي والاتصالي، ليوظفه بفعالية في محاولة إزاحة الإسلام من طريق الغرب ومن طريق مصالحه المادية والمعنوية التي يسعى إلى تحقيقها بأيّة وسيلة وبأيّ أسلوب وتحت أيّ ظرف تماشيا مع النّظرية الميكيافيلية القائلة: **(الغاية تبرّر الوسيلة)**.

فقام الغرب بمحاولات حثيثة ومستمرة معتمدا في ذلك على مؤسسات وهيئات ومنظمات رسمية وغير رسمية داخلية وخارجية لاختراقه وإحلال محله معتقداته وأفكاره، ودسِّ المفاهيم المغلوطة والأفكار الهدّامة فيه، التي من شأنها -حسبه- أنْ تقلل من خطر الدّعوة الإسلامية عليه، وتعرقل سيرها نحو مواطنيه ورعاياه على اختلاف معتقداتهم وأعراقهم، وبغية منعها من القيام بمهامّها الرّسالية في الوصول إلى قطاع عريض من جمهور المدعوّين الإقليميين والعالميين، ومنع إخراجهم ممّا هم فيه من ضلال عقدي، وتيه فكري، وانحلال خلقي، وانحراف سلوكي، وطغيان ماديّ، الأمر الذي جعل الغرب ومن تبعه من المسلمين التّغريبيين الذين نجح في سلخهم من عقيدتهم وهويتهم، يعيشون في فراغ روحي وحياة بهيمية بئيسة.

الاتّجاه الثّاني: دعا أصحاب هذا الاتّجاه إلى توظيف تكنولوجيا الإعلام والاتصال لخدمة الدّعوة الإسلامية؛ أمثال(محمّد سيد محمّد) و(إبراهيم إمام) و(عبد اللطيف حمزة) وغيرهم من الباحثين المتخصّصين بالتّنظير للإعلام الإسلامي وإيجاد أرضية صلبة لتطبيقه، وهو ما أكّد عليه (أحمد زارع) و(محمّد عبد الواحد طرابية) أستاذا الإعلام والإعلام الإسلامي بجامعة الأزهر، واللّذان يريان بأنّ لتكنولوجيا الإعلام والاتصال أهميةً لا يُستهان بها في خدمة الدّعوة والثقافة الإسلامية، من خلال التّعريف بها ونشرها وتحسين صورة الإسلام التي شوّهها الغرب في أذهان أبنائه، واستخدام كلّ الوسائل المشروعة في ذلك(17)، والسّعي إلى التمكين للإسلام في العالم بتوسّل هذه التكنولوجيا في الدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، لقوله تعالى: ﴿أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النّحل: 125]، لتجسيد حقيقة ربانية وترسيخها في قلوب المدعوين؛ وهي قوله تعالى:﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19] ولقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: 85]، على اعتبار أنّ الإسلام خاتم الرسالات السّماوية ومِسْك الشّرائع الإلهية.

إنّ التّبشير بالدّعوة الإسلامية والتّرغيب فيها وتبليغها واجب شرعي، لكونها -الدّعوة- أمرٌ ربَّاني كما هو ثابت ومقرَّر في كثير من نصوص القرآن الكريم، وهو أيضا -واجب الدّعوة إلى الله- مُؤَكَّد بتوجيه منه ﷺ من خلال أقواله وأفعاله وتقريراته المبسوطة في كتب السنّة النّبوية الشّريفة وكتب السّيرة العطرة، حيث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمثّلها الرسول ﷺ في سيرته الدّعوية واقتدى به صحابته الكرام والتّابعون وتابعوهم من بعده، وهذا لإخراج الناس من ظلمات الجهل والتيه والضلال إلى نور العلم والهداية والرّشاد، وجَعْلِهِم ينعمون بالسلام والأمن في العالم، فتتحقق سعادتهم في الدارين، تجسيدا لمقولة ربعي بن عامر رضي الله عنه حينما سأله رستم: "ما جاء بكم" فأجابه ربعي بن عامر قائلا: (الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج مَنْ يشاء مِنْ عباده من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومِنْ جور الأديان إلى عدل الإسلام)[18].

مِنْ هنا وجد العالم العربي والإسلامي نفسه أمام تحدّيات كبيرة، قذفتها أمامه هذه الثورة التكنولوجية في عالم الإعلام والاتصال، فالتّحدّي الأوّل؛ قد يستثمرها المسلمون ويحسنون استغلالها الاستغلال الأمثل والاستفادة منها في خدمة الدعوة الإسلامية؛ بالتعريف بها والدعوة إليها والتّرغيب فيها والتّبشير بها ونشرها وبالتالي التّمكين لها في أرض الواقع، وإدخال الناس فيها طواعية بالحكمة والموعظة الحسنة والإقناع من غير إكراه ولا إجبار.

والتّحدّي الثّاني يتمثّل في الوضع البئيس الذين يعيشه المسلمون من ضعف وتخلف وركود، وعدم إنتاج في التكنولوجيا عموما وفي تكنولوجيا الإعلام والاتصال خصوصا، إذ يُعَدُّ العالم الإسلامي مستهلكا لها، حيث استهدفه الغرب بأنظمته وهيئاته ومنظماته التي حشدت جهودها ووجّهت متخصّصيها لصناعة الرأي العام العربي والإسلامي وصياغة مواقفه وردود أفعاله، بل والعمل على تكوينه وفق منهجه ورؤيته، حتّى يخدم أفكاره ويستجيب لتطلعاته الرامية إلى تحقيق أهدافه على حساب مصالح العالم العربي والإسلامي.

وعليه استطاع الغرب بإمكاناته الهائلة أن يُحيِّدَ الكثير من أبناء المسلمين عن دينهم وعقيدتهم ويجعلهم يتنكّبون شريعتهم ويَشُكُّون في مدى صلاحيتها في حياتهم، ويَتَخَلَّون عن أفكارهم وقناعاتهم، ويَتبنَّوْن أفكار الغرب المناقضة لدينهم وهويتهم ومبادئهم، ثمّ يتقمّصون بعد ذلك دوره؛ فيَدعون إلى أفكاره ويُنفِّذون مخططاته نيابة عنه، مقدّمين له بذلك خدمات كبيرة دون مقابل.

وقبل العرض العام لانعكاسات تكنولوجيا الإعلام والاتصال في جانبيها الإيجابي والسلبي على الدعوة والثقافة الإسلامية، لا بأس من الإشارة إلى بعض الخصائص التي تتميّز بها هذه التكنولوجيا، لأنّ ما اشتملت عليه من مميزات جعلتها أداة أساسية في الضغط والتّأثير والتغيير في كل الصُّعد سَلبا وإيجابا.

فبالنسبة للدّعوة الإسلامية؛ فقد كان لها تأثير كبير عليها وعلى القائمين عليها من حيث التعريف بالإسلام وتبليغه وممارسة الإصلاح والتوعية والتغيير والبناء وغيرها من الوظائف الحضارية التي يقتضيها الاستخلاف في الأرض.

وقد لخّص أحد الباحثين مميزات هذه التّكنولوجيا بقوله: "من أبرز مميزات وخصائص الإعلام المعاصر: الاتصال السريع، قلة التكلفة، سهولة الاستخدام، شبابي، متعدد اللغات، التدفق الخبري الدّائم على مدار الساعة من خلال خِدْمَات الهاتف النقَّال والأنترنت وغيرها، العالمية، القدرة على التعبئة، التوقُّع المسبق للحَرَاك الشعبي، التحرر من قيود السلطة السياسية، الاتصال الأفقي أو التّشبيك"[19].

هذه الخصائص وغيرها جعلت من تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة تُسهم بشكل كبير في صناعة المواقف تجاه الدّعوة الإسلامية، سواء بخدمتها من خلال توظيفها لصالحها بالدّعوة إلى الإسلام ونشره والتّمكين له، أو بالإضرار بها من خلال استعمالها ضدّها بتشويهها والصدّ عنها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا: الجوانب الإيجابية والسّلبية لتكنولوجيا الإعلام والاتصال على بعض مجالات الدّعوة والثّقافة الإسلامية

إنّ الدعوة الإسلامية في مفهومها العام تتمثّل في رسالة الإسلام الربانية الخاتمة التي كلّف الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم بتبليغها بتبليغ القرآن الكريم الذي قال فيه الله تعالى:﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد﴾ [فصّلت: 42]، ومن خلال تبليغ سُنَّة رسوله التي قال فيها رسول الله ق: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّتِي)[20] ، فالله تعالى وصف الإسلام بالكمال والتمام الذي به سعادة البشرية ونجاحها إنِ اعتصمتْ به، قال الله تعالى فيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينَا﴾ [المائدة: 03]، قال ابن كثير في تفسير الآية: "هذه أكبر نعم الله عزّ وجل على هذه الأمّة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم، صلوات الله وسلامه عليه؛ ولهذا جعله الله خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا ما حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف"[21].

وبوفاة رسول الله ﷺ والتحاقه بالرّفيق الأعلى؛ نضج الإسلام ولم يبق طفلا كما يدّعي المستشرقون، فكان بذلك تمامه وكماله.

إنّ تكنولوجيا الإعلام والاتصال على ما لها من تأثيرات ضارة بالدّعوة والثقافة الإسلامية، إلاّ أنّ لها في المقابل تأثيرات إيجابية وخِدْمات جليلة فهي سلاح ذو حدين، حيث يشهد المسلمون بعض آثارها الإيجابية الماثلة أمامهم، وهذا ليس مجرد طفرة، وإنّما بتوجيه رباني وعناية إلهية، فالله تعالى هو الذي يمكّن لدينه ابتداء وانتهاء، بالإضافة إلى توفيق الله تعالى لعباده المخلصين في الاستفادة منها في حياتهم وفي معادهم، بتوظيفها في التّمكين لدينه ونصرته وخدمة مبادئه وشعائره، بجَعْلِهَا أحد الوسائل الناهضة بالإسلام والدّافعة به نحو الآفاق، وإخراج البشرية ممّا مسّها من دنسٍ وفساد وتيه وغيرها من المعاني التي تأباها الفطرة السليمة، وتأباها كلّ نفس سويّة حتّى ولو كانت على غير ملّة الإسلام، فتُسهم بذلك تكنولوجيات الإعلام والاتصال في حلّ الكثير من الإشكالات الصّعبة والمسائل الخطيرة التي يعيشها إنسان الألفية الثّالثة.

من تلك القضايا الهامّة الخادمة للدّعوة والثّقافة الإسلامية التي تعدّ من ركائزها الأساسية والتي سأقتصر على ثلاثة منها في دراستي تمثيلا لا حصرا هي؛ الدّين الإسلامي واللغة العربية باعتبارهما أهم ركائز الهوية الإسلامية، وكذا الأسرة باعتبارها نواة المجتمع وأساس بناء الوطن والأمّة الإسلامية:

1- الدّين الإسلاميّ:

الدّين الإسلامي عقيدة وشريعة وأخلاق، لا يمكن استبعاد أحد أركانه الثّلاثة الْمُشَكِّلة لتركيبته الرّبانية، وأيّ محاولة لفصل إحداها عن الأركان الأخرى، يخرجه عن قدسيته الربانية إلى لوثات التّحريف البشرية وإلى المادية البحتة أو الرهبانية المطلقة، التي مسّت شرائع أهل الكتاب السّماوية.

قال الشّيخ البشير الإبراهيمي: "فأمّا إحياء مجد الدين الإسلامي فبإقامته كما أمر الله أن يُقام بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق"[22]، والمتأمّل في تاريخنا الإسلامي يجد سنّة التّدافع ماثلة في الواقع المعيش، فهي المحك لامتحان كل صاحب مبدأ أو رسالة في الحياة، واختبار مدى إيمانه بفكرته وقِيَمِه التي يتبنّاها، والتأكد من مدى ثباته عليها والتضحية لأجلها، والدّين يعدّ من بين تلك المبادئ القوية والقيم السامية التي وقع التّدافع عليها بين بني البشر، وعلى أساسها تتمايز قِيَم الخير والشرّ وقِيَم الحق والباطل والخبيث من الطيب؛ لقول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُون﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[العنكبوت: 02]، وقال أيضا: ﴿مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: 179].

لقد عمل الغرب منذ بداية الثّورة الصّناعية والتطور التّكنولوجي الكبير في جانبه الاتصالي والإعلامي المزدهر، على العمل بكل ما أوتي على تسخير الفورة التكنولوجية في خدمة مصالحه المادية والمعنوية، وبخاصة في خدمة عقائده وأفكاره، فعمل على إرسائها باستنفاد كل طاقاته؛ من ذلك الحروب الصليبية التي تشهد على وحشيته وفضاعة ما قام به في تاريخه الأسود من أجل استغلال خيرات ومُقَدَّرات بلدان العالم الإسلامي، ولإخراج المسلمين من دينهم وحملهم بالجبر والإكراه على دياناتهم اليهودية والنّصرانية، وما محاكم التفتيش عنّا ببعيد، تلك الحمْلات الصليبية التي أشرف عليها قادة عسكريون وساسة متنفِّذون ورجال دين استماتوا في التمكين لدينهم وعقيدتهم وأفكارهم.

وفي عالَمِ ثورةِ تكنولوجيةِ الإعلامِ والاتصالِ الحديثةِ؛ نجد أنّ الغرب سخّر كل إمكاناته المادية والمعنوية، وعمل على توظيف هذه التكنولوجية في التمكين لدينه وأفكاره بالترويج لها ونشرها بالترغيب فيها أحيانا وبالترهيب من الإسلام أحيانا أخرى، فجعلوا من الإسلام بُعْبُعًا يخوّفون منه، فعمل على تشويهه وتشويه المسلمين ودعاته وتحريف مفاهيمه وإلصاق التّهم به، وفي هذا قال المبشِّر (**تاكلي**): "يجب أَنْ نستخدم القرآن وهو أمضى سلاح في الإسلام ضدّ الإسلام نفسه، حتى نقضي عليه تماما، يجب أَنْ نبيّن للمسلمين أنّ الصّحيح في القرآن ليس جديدا، وأنّ الجديد فيه ليس صحيحا"[23].

وقد استنفد الغرب لأجل ذلك كلّ ما لديه من وسائل ووسائط إعلامية واتصالية حديثة لتنفيذ مخططاته، فوصم الإسلام بالإرهاب وبالعنف والوحشية والدّموية والظلامية والجنس وغيرها من النعوت المفتعلة، التي لو كَلّف الغرب نفسه التحقيق فيها بموضوعية وعلمية وحيادية، لما وجد لها أثرا في دين الإسلام، ولوجد أنّ كثيرها كانت باستدراجه الماكر لبعض السذّج من المسلمين الذين قاموا بتلك السلوكات المعزولة عن الإسلام والتي هي عبارة عن ردود أفعال عاطفية ومتسرعة لا غير.

والحقّ ما شهدت به الأعداء على براءة الإسلام من تلك المواقف والسّلوكات، وقد شهد بذلك الكثيرون من منصفي الغرب كالمستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تسطع على الغرب)، والمؤرّخ الفرنسي غوستاف لوبون في كتابه(حضارة العرب) وغيرهما.

لقد طعن الغرب في الإسلام بتكنولوجياته الإعلامية والاتصالية، وشوّه محاسنه وحرّف حقائقه وحذّر أتباع الدّيانات الأخرى من اعتناقه وإتّباعه والعمل به، وزعم أنّه دين لا يستحقّ الانتشار لأنّه يحثّ المسلمين على الملذّات الجسديّة والماديّة، ويُبعِد عن السّموّ الروحي والأخلاقي، وأنّ المسلمين قوم همج لصوص وسفّاكو دماء[24].

قال شوقي أبو خليل: "ولعلّ أهمّ هدف سعى إليه المستشرقون، هو محاولة إعطاء صورة مشوَّهة عن الإسلام كدين، وعن الشّرق كحضارة، وعن العربيّة كتراث ووجدان أمّة، وذلك حتّى يُمْكِن التّنفير من الإسلام واعتناقه، بهدف خدمة التّبشير، ثمّ تحطيم الإسلام من داخله عن طريق تشكيك المسلمين في كتابهم ونبيّهم وتراثهم، حتّى يتمّ فصلهم عن دينهم، وتفتيت وحدتهم، لأنّ في تمسّكهم بهذا الدين رُقيًّا وتقدّما وحضارة ماديّة ومعنوية"[25].

استهدف الغرب الصليبي الدين الإسلامي من منذ القديم، وهو الذي ينتهج العلمانية في الحكم والتسيير، وينتصر لعقيدته المسيحية في النشر والتمكين على حساب الإسلام، لذا شنّ تلك الحروب على المسلمين كرد فعل وانتقام من انتصارات المسلمين التاريخية عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد عمل الغرب على توظيف كل إمكاناته المادية والمعنوية في حربه ضدّ الإسلام، على رأسها شنّه للحرب الناعمة المتمثلة في الحرب الإعلامية، وذلك بمحاربته وتشويهه والصدّ عنه والاجتهاد في إحلال غيره من الديانات والنِّحَل والأفكار محلّه أو على الأقل ترك أهله بلا دين.

بمقدور المسلمين توسّل تكنولوجيات الإعلام والاتصال والإعلام الجديد وتوظيفها التّوظيف الحسن، بجعلها تخدم رسالة الإسلام وتُسهم في نشره وصدّ تلك الهَجْمَات عليه وعلى المسلمين، وعدم حَصرها في التّرويح والتّسلية والتّرفيه واللهو وإضاعة الوقت في توافه الأمور، والعمل بجدّ في تسخيرها في التعريف به وعرضه بالصورة الناصعة التي بلّغه بها رسول الله ﷺ إلى الناس في زمانه، وكذا ما قام به صحابته الكرام من تبليغ لدعوته ونشرها، فاستطاعوا بذلك إقامة حضارة مثالية عزّ قيام نظيرها إلى اليوم.

كما يمكن توظيف نفس الوسائل والمناهج الغربية من أفلام وأشرطة وسينما وغيرها من الآليات ذات التأثير البالغ على المُشاهد العربي، بل وحتّى على المشاهد الغربي من خلال الفضائيات والقنوات الدينية الكثيرة المنتشرة في بلاد المسلمين، على الرّغم ممّا تنطوي عليه برامجها من محاذير ونقائص وبالرغم من التّكوين الضّعيف للمؤطّرين والمسيّرين المسلمين، لكن مع ذلك يمكن الإسهام عن طريقها بقدر محترم في تحسين صورة الإسلام والمسلمين لدى الغرب والتبشير به وتصحيح المفاهيم عنده، والتخفيف من هجماته المنفّرة من الإسلام، وبرامجه المغرية للمسلمين بأفكاره ومدنيته.

فتكنولوجيات الإعلام والاتصال يمكن توجيهها الوجهة التي يريدها القائم بالعملية الإعلامية في توصيل مضامين الرسالة الإعلامية والدّعوية إلى جمهور المستقبلين المحليين والعالميين، إذ لم تعد حكرا على أنظمة الغرب وهيئاته ومؤسساته، فالنزر اليسير الذي سَوَّقَهُ من تلك التكنولوجيات إلى بلدان العالم الإسلامي، يمكن استغلالها وتوظيفها بإيجابية في نشر دين الإسلام وخدمة الدّعوة والثّقافة الإسلامية.

والأمر نفسه اليوم بالنسبة لبلاد العرب والمسلمين، حيث صار لكل فرد إعلامه الخاص به، يمكن من خلاله متابعة ما يريد والاستماع لمن يريد وباللهجة التي يريد، فلم يعد رهين توجيهات فوقية، فصار بإمكانه أن يغطي الأحداث وينقل الأخبار ويحلل ويناقش ويوجّه ويؤثّر ويقنع ويقرّر، ويقوم بالعمليات الإعلامية التي يقوم بها أيُّ صحفي محترف، فيقوم بالعمليات الإعلامية التي تنجزها مؤسسات الدول التي رصدت ميزانيات ضخمة لإنشائها وتجهيزها وتكوين إطارات كُفأة للقيام بها، بل ووصل بها الأمر إلى جعل بعض الهواة أحد مصادرها في تغطية الأحداث الطارئة والمستجدّة عند غيابها.

وعليه صار لتكنولوجيات الإعلام والاتصال دور محوري في خدمة الدّعوة والثّقافة الإسلامية من خلال تقديمها خدمات جليلة للدين الإسلامي بالتّعريف به ونشره وتصحيح المفاهيم المغلوطة حوله ودفع الشّبه عنه والتمكين له في كل مكان، فاستطاعت أن تكون أحد الأسباب الرئيسة في دخول الآخر إلى الإسلام وتكثير سواد المسلمين وحمل راية الإسلام ونصرته تأسيا بأسلافهم المرضيِّ عنهم؛ أمثال بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي وغيرهم كثير عبر الحقب والدهور في تاريخ المسلمين الزاهر.

2- اللغة العربية:

تعتبر اللغة أحد أركان الهوية الأساسية للأمم والشّعوب، "وأحد القنوات الهامّة للتّفاهم والإيصال والاتصال بين الأجيال، فبواسطتها تُنقل آثار الأجداد إلى الأبناء وتَحفظ أمجاد الأبناء للأحفاد"[26]، وتعتبر بالنسبة للمسلمين هوية مقدّسة لارتباطها الوثيق بالدين الإسلامي باعتبارها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاه قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون﴾ [يوسف: 02]، ولا يمكن فهم الدّين جيدا على مراد الله بغير اللغة العربية، وما ترجماته إلى لغات العالم إلا لتيسير فهمه واستيعاب معناه ومقاصده، لذا عمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمون منذ فجر التاريخ على تعلُّم وتعليم اللغة العربية وتعليم القرآن الكريم والإسلام وأحكامه باللغة العربية حتّى تكون المعرفة بالدّين الإسلامي دقيقة وصحيحة.

الدّارس لتاريخ المسلمين المُشرق عبر العصور المتعاقبة، يجد أنّ الذين دخلوا في الإسلام أوّل ما يجتهدون في تعلّمه هو لسان القرآن الكريم حتّى يتمكّنوا من فهمه وفقه أحكامه كما شرّعها الله، كما أنّ علوم الشّريعة لا يمكن استيعابها والتّحكّم في ناصيتها إلا بالإلمام بعلوم اللغة العربية وفهمها وحذقها جيدا، فهي أساس علوم الشّريعة التي لا يمكن أن تُفهم بدونها.

إنّ العدد غير اليسير من علماء العالم في شتّى التّخصصات على اختلاف مللهم ونحلهم كانوا حاذقين للّغة العربية نظرا لعالمية الإسلام الذي قال الله تعالى في شأن رسالته الإنسانية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، هذا الدّين الذي فرض نفسه بعناية إلهية على الرّغم من تلك المآخذ التي تحسب على المسلمين في تقصيرهم في تبليغه والدعوة إليه، وأيضا لما لهذه اللغة -التي اختارها الله تعالى بحكمته- من أسرار بيانية وبلاغية وميزات وخصائص فريدة، لذا استهدفها الغرب فتعلّمها ودرسها وألّف فيها وحاول اكتشاف أسرارها.

وفي المقابل عمل على محاربتها والانتقاص من شأنها والحطِّ من قدرها والنّيل منها بطرح الشُّبَه حولها؛ كصعوبة نحوها ووعورة صرفها وعقم مناهجها وغير ذلك ممّا يذيعه بين بني جلدتنا، ولكنّ العائد الأوّل في انحسار اللغة العربية في أوطاننا بين أهلها وفي العالم؛ هو ضعف أهلها وغيابهم عن مسرح الحياة وعن مراكز صنع القرار فيها.

كما عمل الغرب على الاجتهاد في إحلال محلّها لغاته الخاصّة كالفرنسية والإنجليزية وغيرهما، أو بإشاعة اللهجات المحلية بدلها لإثارة النعرات العنصرية والجهوية بين أبناء الوطن الواحد، لأجل تفريق شملهم وتفتيت وحدتهم، ونشر الجهل والأمّية بينهم، ومنعهم من التّعلّم والتّنوّر بنور العلوم والمعارف المفيدة لهم، بل وصل به الأمر إلى وصمها بأنّها لغة ميّتة وأنّها لغة تخلف، فأشاع هذه المغالطات حتّى انطلت على الكثير من أبناء المسلمين التّغريبيين، من أجل إبعادها وتهميشها والنّيل منها ومن ثمّة النّيل من القرآن الكريم وبالتالي النّيل من الدين الإسلامي.

ولبيان مكانة اللغة العربية ودورها الحضاري في الحياة، وضرورة الاهتمام بها والحذر من إضاعتها وتهميشها قال الشّيخ البشير الإبراهيمي: "وأمّا إحياء مجد اللسان العربي فلأنه لسان هذا الدين والمترجم عن أسراره ومكنوناته، لأنه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامة للبشر كلهم، ولأنه لسان تاريخ هذا الدين ومُجَلّي مواقع العبر منه، ولأنه قبل ذلك وبعد ذلك لسان أمّةٍ شغلت حيّزًا من التاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها وتصاريفها في الحياة، وكلّكم يعلم أنّ هذا اللسان ضاع مِنْ بيننا فأضعنا بضياعه كل ذلك التراث الغالي النفيس من دين وتاريخ، وأنّ اللغة هي المقوّم الأكبر من مقوّمات الاجتماع البشري، وما من أمّة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقوّمات الأخرى"[27].

ولأجل تحقيق الغرب لمقاصده وأهدافه وتجسيد مخطّطاته في محاربة اللغة العربية؛ قام بتهميشها ووصمها بكل نعوت التخلف واتّهمها بعدم القدرة على إقامة حضارة مزدهرة كالحضارة التي صنعها الغرب المادي اليوم، وسخّر كل الوسائل التقليدية والحديثة المتوفّرة لديه، وسخّر التكنولوجية المتطورة في هذا المجال، فوظّف وسائل الإعلام والاتصال الحديثة والوسائط المتطوّرة من فتوحات الإعلام الجديد في شنّ حربه الحضارية على المسلمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لذ قام بإعداد برامج تلفزيونية وسينمائية وأشرطة وثائقية وأفلام كرتونية وصور كاريكاتورية وفواصل إشهارية وإعلانية تعتمد على الصوت والصورة والإخراج الجيّد وغيرها من الابتكارات المؤثرة بشكل رهيب على مُتَلَقِّي الرسائل الإعلامية بمختلف مضامينها، وشَنَّ حروبا لا هوادة فيها على لغة القرآن الكريم؛ فقام بالترويج لِلُّغاتِ الأجنبية العالمية وفَرْضِهَا، وإحياء اللهجات القومية والمحلية بأيدي داخلية موالية له، وذلك بتزيين تلك اللغات واللهجات وتعليمها وفرضها، ولمز اللغة العربية والمتكلمين بها في عقر ديارهم، وإلصاق التخلف بها وبالمتكلمين بها من دون مبرر مقبول ولا حجّة بيِّنة.

لقد أثبت تاريخ المسلمين المشرق؛ أنّ اللغة العربية كانت أحد الرّكائز الرئيسة في إقامة حضارة إسلامية راقية أبهرت العالم بإنجازاتها المادية والمعنوية عبر قرون مديدة، ولم يحدث أن كانت في يوم مِنَ الأيام أحد أسباب تعثّر وسقوط المسلمين وأفول حضارتهم وتخلّفهم، بل على العكس من ذلك تماما، كانت أوروبا في عصورها المظلمة تتعلّمها وتتوسّلها في نقل علوم ومعارف وحضارة المسلمين إلى بلادها بترجمة تراثنا الذي كتب بها، كما كانت تدرّسها في معاهدها وكلياتها، فاستطاعت بذلك أن تحقق قفزة نوعية في الخروج من عصورها المظلمة إلى حضارة راقية ومدنيّة متطورة.

يؤكّد واقع المسلمين البئيس اليوم أنّ تخلِّي المسلمين عن ركائز حضارتهم القائمة على اللغة العربية والدين الإسلامي، جعلهم يستقرُّون في ذيل قائمة دول العالم، حتّى صار يطلق عليها بالدّول السائرة في طريق النّمو، بل ويصنّفونها في آخر دول العالم ضمن من دول العالم الثالث كناية عن ضعفها وتخلّفها، وما ذلك إلا لانبهار دول العالم العربي والإسلامي، بلغات العالم الغربي المتمدّن الذي أخذ بأسباب القوة والتقدم والازدهار، ومكَّن لهويته وموروثه اللغوي والثقافي والحضاري الذي يعتز به ولا يحتقره.

وما صار المسلمون إلى ما صاروا إليه من ضعف وتخلّف وهوان، إلا لاحتقارهم لأنفسهم ولدينهم ولغتهم ولقيمهم ومبادئهم ومقومات هويتهم؛ من دين ولغة وتاريخ وغيرها من المكوّنات الحضارية.

إنّ وسائل الإعلام والاتصال من تلفزيون وإذاعة وصحافة مكتوبة وغيرها من وسائل الإعلام الجديد بمختلف أشكاله ومسمّياته؛ يمكنها أن تقوم بأدوار كبيرة تخدم اللغة العربية وتضطلع بمهام لا يستهان بها، مثل مؤسسات التربية والتعليم والمؤسسات الجامعية في التمكين لها وإرسائها وتعميمها على مؤسسات الدول، فتساهم بذلك وسائل الإعلام والاتصال في الرقي ببلدان العالم الإسلامي وجعلها تتصدر الرّيادة في شتى مجالات الحياة من خلال برامج تعليمية وتثقيفية باللغة العربية الفصحى.

لكنّ بعض القائمين على وسائل الإعلام والاتصال في العالم العربي الجاهلين باللغة العربية والذين اهتزت ثقتهم في لغتهم من المتشبعين بالفكر الغربي وثقافته والمفتونين بلغته، جعلوا من وسائل الإعلام معول هدم للغة العربية بغرض تهميشها والقضاء عليها، والتّمكين للعاميات المحلية.

قال أحد الباحثين في هذا السّياق: "إنّ وسائل إعلام عربية كثيرة أصبحت تُروِّجُ للعاميَّات بشكل سافر، وتزيدها استعلاء وجهارة، وأصبح معظم ما يُقدَّم من برامج في الفضائيات يُقدَّمُ بالعامية؛ وجاوز الأمر التمثيليات والمسلسلات والأفلام، فَدَخَلَ بعضَ البرامج الثقافية والتربوية والتعليقات السياسية، بل نشرات الأخبار في بعض الفضائيات"[28]، ويضيف هذا الباحث أنّ وسائل الإعلام صارت تُروِّج للّهجات العامية المحلية للدول العربية كالعراقية والشّامية والمصرية وغيرها بدلا عن اللغة العربية حيث يقول: "يراد حمل المتلقي العربي عليها حملا، وجعلها واقعا لغويا مفروضا عليه، بدلا من العربية الفصيحة؛ لغة الدين والحضارة والأصالة والتَوحُّد"[29].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ لهذه الوسائل الحديثة تأثيرا ساحرا على المتلقّي العربي وبخاصة الناشئة الجديدة التي صارت تعكف على اللوحات الرقمية والهواتف الذكية وما تحتويه من ألعاب إلكترونية مليئة بالعنف والإثارة، وأيضا بالعكوف على مشاهدة التلفزيون لساعات طويلة أكثر من عكوفها في مقاعد الدراسة، ممّا أثّر على لغتها وثقافتها وأخلاقها وعاداتها وتواصلها، بل وأثّر على صحّتها العقلية والبدنية فسبَّبت لهم الكثير من الأمراض العويصة كالتوحّد وانفصام الشّخصية والأمراض العضوية في الرقبة والكتف والعيون واليدين وغيرها.

قدّم أحد الباحثين إحصائية حول مكوث الصغار أمام التلفزيون أكثر من مكوثهم في مقاعد الدراسة قال فيها: "فمع إكمالهم مرحلة الدراسة الثانوية يكون التلاميذ قد قضوا عشرين ألف (20000) ساعة مشاهدة في مقابل خمسة عشر ألف (15000) ساعة في المدرسة"، كما ذكر بعض العوامل المؤثرة بالسلب على اللغة العربية من طرف القنوات الفضائية في دراسة أجريت على الشّباب الجامعي، فقال: "أدَّت إلى تخريب الذوق اللغوي العربي من خلال استعمال العامية الفجَّة، ومسلسل الأخطاء اللغوية الشائعة والمتكررة، والتوظيف السيئ لأسماء البرامج، إضافة إلى ضعف مستوى مقدِّميها"[30].

كما يمكن في المقابل أن تقدّم وسائل الإعلام والاتصال خدمات جليلة للغة العربية والرقي بها، وتصحيح الصورة المغلوطة حولها، فوسائل الإعلام والاتصال كما تبني تهدم، شأنها في ذلك شأن المؤسسات التربوية والجامعية والمراكز الثقافية وغيرها، فبمقدورها أن توظف اللغة العربية في تنشيط برامجها التعليمية والثقافية والسياسية والاقتصادية والترفيهية والترويحية بشكل مبسّط وغير معقّد تحت إشراف إطارات كُفأة متكونة ومتخصصة، فتعمل على نشرها وتلقينها إلى الناشئة والمتعلمين وحتى الموظفين والمهنيين، وتحبيبها إليهم بأساليب مبسَّطة وراقية ومناهج مدروسة مشفوعة بتقييم جادٍّ، ومراجعة للأخطاء وتصويبها، خاصّة وأنّ وسائل الإعلام والاتصال اليوم تجلّت إمكاناتها المذهلة في التّأثير والإقناع والتغيير والبناء بشكل ملحوظ.

قد تكون وسائل الاتصال والإعلام عامل ازدهار للّغة العربية وقد تقرّبها من أهلها الذين أفرطوا في استعمال اللهجات المحلية العامية على حسابها أو استعمال اللغات الأجنبية وبخاصة النخبة المستغربة، حيث سيطرت عليهم الرّطانة والعُجمة وصار من الصعب عليهم تكوين بعض الجمل المفيدة، وهذا الذي استشرى بين الكثير من النّخبة المتعلّمة في الجامعات وفي مؤسسات التربية وبين إطاراتنا السّامية وفي مؤسسات الدول في عالمنا العربي وحتّى في المحافل الدّولية، بل وصل الضّعف واللحن في اللغة إلى أئمة المساجد، حيث استولى عليهم الحديث بالعامية تحت مبررات؛ التبسيط للناس والنزول إلى مستواهم لتفهيمهم المراد من الكلام وغيرها من المبررات.

إنّ عدم استعمال النّخب المثقفة للغة العربية وعدم التدرّب على التكلّم بها في ميادينها الرسمية وغير الرسمية، وعدم الاجتهاد في إثراء رصيدها اللغوي بالإكثار من القراءة والمطالعة بها، كان له أثره السلبي السّيئ على مقدرتهم في الكلام والتواصل والكتابة بها.

كما أنّ المتتبع لبعض القنوات الترفيهية الخاصة بالأطفال والناشئة التابعة لبعض الدول العربية؛ يجد ذلك الدور الإيجابي الذي تقوم به في إنتاج بعض البرامج والأشرطة الوثائقية والترفيهية والرسوم المتحركة الكارتونية الهادفة، ذات التأثير المفيد على الأطفال من خلال توظيف اللغة العربية البسيطة والفصيحة السهلة، ومدى تأثيرها البالغ في الأطفال، حيث نجد أطفالنا عقب انتهاء تلك البرامج يقومون بمحاكات تلك البرامج والحديث فيما بينهم باللغة العربية أثناء لهوهم في بيوتهم أو في مدارسهم أو في الشّارع، وأصدق مثال على تلك القنوات المؤثرة إيجابا؛ قناة (سمسم)، وبرنامج (مدينة القواعد) وبرنامج (لغتنا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجميلة)وغيرها من البرامج الهادفة التي تَستعمل اللغة العربية، وهي أكبر دليل على سهولتها ونجاحها في الردّ على متهميها بالعجز والقصور.

إنّ رجال الإعلام والاتصال والقائمين على وسائله وبرامجه غير مطالبين أن يتحدثوا إلى جمهور المستمعين بلغة سيبويه والتقعّر في الكلام واستعمال الغريب منها، وإنّما عليهم الابتعاد عن الرّداءة والاجتهاد في احترام قواعدها وتطبيقها، والتزام مخارج وصفات حروفها، لما في الإخلال بها من تحريف للمعنى وإفساده، وجَعْلِ المستمع لا يفهم المراد من الكلام، فتبلغ الرسالة مشوَّهة ولا تؤدي الغرض منها.

فحسن تسخير تكنولوجيات الإعلام والاتصال في خدمة اللغة العربية؛ بتيسير تعليمها وإعداد برامج خادمة لها وتكليف متخصَّصين يتولون أمرها، كل ذلك من شأنه أن يسهم في خدمة الإسلام ودعوته وثقافته، وتوصيل رسالته للعالمين نقية صافية كما أنزلها الله تعالى، فتسعد الإنسانية في الدارين.

3- الأسرة نواة المجتمع:

في ظل التنامي الهائل لوسائل الإعلام والاتصال وتطورها التكنولوجي المتسارع، عمل الغرب على توظيفها في صناعة الرأي العام العالمي وصياغته وتوجيهه في شتى المجالات الهامّة الاجتماعية والثقافية والأخلاقية وغيرها...

ونظرا لكون الأسرة أحد الكيانات الأساسية في المجتمعات الإسلامية المعتمدة في الحفاظ على دينها وهويتها وقيمها والضامن لتماسك المجتمع ومتانته وبقائه ولمّ شمل أفراده؛ ركّز الغرب جهوده على محاولة زعزعتها وتفكيكها لإزالتها من الوجود شكلا ومضمونا، لذا شنّ هَجْمات شرسة عليها، بانتهاجه إستراتيجية مدروسة لتحقيق مبتغاه، فاستخدم تلك الوسائل، لما تتميّز به من تقنيات حديثة ومتطورة، ولما لها من انتشار واسع أفقيا وعموديا، ولما لها من فاعلية في التأثير والإقناع والتغيير، لذا بات من الضروري تماشيا مع الواقع وتحيينا للوسائل والأساليب وتكييفا لها مع الأحداث؛ أن يتولّى القائمون على شؤون حماية الدّعوة والثّقافة الإسلامية وتبليغها والدفاع عنها، نفس جنس وسائل الغرب التي اعتمدها في هجومه على الأسرة.

فكما يستخدم الغرب هذه الوسائل التكنولوجية المتطورة في الإعلام والاتصال لنقض بناء الأسرة وتفكيكها وتشتيتها، وَجَبَ في المقابل على النّخب المسلمة من المتخصّصين والأكاديميين والعلماء والدّعاة المسلمين-تأسيا بالغرب في استخدام نفس سلاحه- أن يوظّفوا هذه الوسائل الإعلامية الاتصالية في حماية قيم الإسلام ومبادئه وأركانه وكلّ ما من شأنه أن يثبّت جذوره ويرسي أركانه، لحماية الأسرة والدفاع عنها، باعتبارها نواة المجتمع الأولى، حيث أصبح باديا لكل ذي بصر وبصيرة؛ أنّ الإعلام هو الميدان الرئيس في الدفاع عن القيم الاجتماعية الإسلامية في مواجهة طوفان الإعلام الغربي وانحرافاته، وأيضا هو الميدان الرئيس لنشر وإشاعة الرؤية الحضارية الإسلامية، بعد أن أصبح الإعلام صناعة ضخمة تحتاج إلى إمكانات مادية وبشرية هائلة، مما جعل الدول المتقدمة تتبوأ مواقع القيادة والرّيادة والصّدارة في هذا المجال، وغدت هذه الصناعة خاضعة لإمبراطوريات ضخمة تنظِّم السّوق وفق ظروفها واحتياجاتها ومصالحها.

وقد أثبتت سنّة التّدافع الحضاري بين الأمم بالمقارنة مع الماضي بكل حقبه والحاضر بكل تناقضاته، أنّ الحروب العسكرية لم تحسم بسرعة، بل تبقى مفتوحة على كلّ الاحتمالات ويستمرّ الاستنزاف للأرواح ولخيرات البلدان في الخفاء وفي العلن، في حين يتمّ الحسم بسرعة في الحروب الإعلامية في أقصر مدّة، وذلك بتحقُّق الأهداف التي رسمها الغرب لتنفيذ مخططاته التي وضعها وفق خارطة طريق مدروسة بدقّة متناهية ووفق جدول زمني مضبوط، لأنّها تستهدف العقول والأفئدة وتخاطب العواطف والمشاعر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهنا يجد المتخصّصون في عالم تكنولوجيا الإعلام والاتصال أنفسهم، والقائمون على المؤسسات الإعلامية في العالم العربي والإسلامي الحاملين لِهَمّ تبليغ مضامين رسالة الإسلام الدّعوية أمام تحديات كبيرة، لمغالبة ومدافعة مخططات الغرب التي تستهدف الدعوة والثّقافة الإسلامية في عقر دارها بتشويهها وعرقلة المسيرة الحضارية لكل مؤسساتها وهياكلها الحيوية الكفيلة بالتمكين لها في واقع المسلمين، ممّا يُحَتِّم على أصحاب الدّعوة الإسلامية المؤمنين برسالتهم العمل الجاد على إعداد مشروعات حضارية ذات مرجعية إلهية للحفاظ على الأسرة وفسح الطريق أمامها لأداء واجبها الحضاري لتحقيق التعمير والاستخلاف في الأرض، عن طريق تكوين الفرد المسلم الذي يبني ولا يهدم، ويسعى لنشر الخير والفضيلة في العالم، وإزالة كل العقبات وتذليل كل العوائق والصعوبات التي تحول دون مهامّها الحضارية، وذلك بالانطلاق من الكتاب والسنّة وفهومات أسلافنا واجتهاداتهم وبالمعرفة العميقة والشاملة بواقعهم، لأجل دفع وصدّ كل تلك الهَجْمَات الشّرسة المشوّهة للأسرة، السّاعيةِ لاختراقها وإبطال تماسكها، ومنعها من أدائها لوظيفتها الفطرية الإنسانية.

وحتّى يقوم العلماء والمفكرون والدّعاة إلى الله بواجبهم الدّعوي الرّسالي في تيسير عمل الأسرة في بناء فرد صالح سويٍّ يحمل رسالة ربانية تخدم الإنسانية وتعمّر الأرض بالخير والفضيلة، هناك آليات ووسائل كثيرة ومتنوعة:

أ- الإنتاج الفكري والأدبي لتغذية الفكر وتنوير العقول بالأفكار والرؤى الحضارية المتكئة على الوسائل التقنية الحديثة إعلاميا واتصاليا.

ب- ومحاولة ولوج عالم مصادر الأخبار والمعلومات بالاجتهاد في تقصّيها وتقصّي منابعها لتزويد جمهور المستقبلين للرسالة الإعلامية والدعوية بنقلها إليهم كما هي من غير تحوير ولا تزوير.

ج- ثمّ القيام بتحليل مضمونها واستكناه مقاصدها ومراميها القريبة والبعيدة.

د- وكذا محاولة تَبَيُّنِ انعكاساتها السلبية الضارة بالأسرة والمجتمع، فيُتحكّم فيها بمنع نقلها إلى الناس حتى لا يتم الترويج لها، أو بالقيام ببثّها على الجمهور مقرونة ببيان مخاطرها المضرّة بِقِيَم ومبادئ الفرد والأسرة في المجتمع المسلم.

إنّ الواجب الشّرعي والمهني يفرض على المتخصّصين الإعلاميين توظيف تقنيات وسائل الإعلام والاتصال المتطورة في استوديوهات التسجيل والتصوير من خلال الإخراج الفني المتعلق بالصوت والصورة والأضواء والديكور وغيرها من الصّيغ الشّكلية، والعمل على توجيهها التوجيه الإيجابي في الدعوة إلى الخير ونشر الفضيلة بين الأسر في المجتمع، وخدمة الأفكار البنّاءة السوية المتناغمة مع الفطرة بإضفاء لَمْسَات شرعية عليها، بحيث لا تتعارض وروح الدين الإسلامي، كما ينبغي ألا ينبهروا بالغرب في طريقة إدارته لبرامجه الخاصّة به، بالإيغال في تقليده والانسياق في إتباع سفوره وانحلاله وبهرجته المبالغ فيها على حساب القيم والمبادئ الروحية التي يفتقدها، كما يجب على القائمين على وسائل الإعلام ؛ نشر الدعوة والثّقافة الإسلامية وحماية الأسرة ومساعدتها على أداء واجبها الحضاريّ؛ بتنظيمهم جلسات محترمة في الأستوديوهات للضيوف الحصص الاجتماعية والثّقافية والفنية والترويحية، وبانتقاء الضيوف الذين يظهرون بلباس لائق محتشم، يكونون معروفين بخطاب وسطي راق وملتزم، وكلام مهذب ونقاش هادئ، بعيدا عن الصّراخ والشّجار والشّتم والكلام البذيء، تأسيا بالرسول صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: (لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيءِ)[31]، وعن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت: "استأذن رجل على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رسول الله ﷺ، وأنا عنده فقال: (بِئْسَ ابْنُ العَشِيرَةِ أَوْ أَخُو العَشِيرَةِ) ثمَّ أَذِنَ له، فألَانَ له القول، فلمّا خرج قلت له: يا رسول الله، قلتَ له ما قلتَ، ثم أَلَنْتَ له القولَ فقال: (يَا عَائِشَة، إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَّعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِه)[32]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَه)[33].

كما تتجلى أهمية وسائل الإعلام والاتصال في خدمة الدعوة والثّقافة الإسلامية وحمايتها وتبليغها والدّفع بها قُدما نحو الانتشار والعالمية، وتوظيف ما برز فيه الغرب في عالم الأفلام والسينما، بإعداد أفلام سينمائية ووثائقية وكارتونية هادفة ذات مضامين وطروحات إسلامية تعمل على نشر الفضيلة والأخلاق الحسنة والآداب الرّاقية بين الأفراد والجماعات في أمّتنا الإسلامية، ومحاربة الانحلال والعُري والتفسخ الأخلاقي والبعد عن الإثارة والجنس والرعب والعنف، فكلّ هذه اللوثات صارت عنوانا لكل الشّرور في قرن الألفية الثّالثة، فلا يتمّ ذلك إلا بإعداد أجيال مقتدرة في هذا المجال في مؤسّسات متخصّصة يؤطّرها أكاديميون ومتخصّصون متمرّسون، حتّى يُخَرِّجون لنا منها إطارات كُفْأة تتولّى هذه المهمَّة الرّسالية الخادمة للدّعوة والثّقافة الإسلامية.

بانتهاج تلك الآليات والصيغ في توظيف تكنولوجيات الإعلام والاتصال في هذا الاتجاه الإيجابي، يستطيع القائمون عليها إعلاميا القيام بواجب الدّعوة الإسلامية والحفاظ على وجود الأسرة وتماسكها، وتمكينها من أداء رسالتها الحضارية في المجتمع، فتكون معول بناء لأمّة متحضّرة في عالم الشّهادة.

وبذلك يكون المسلمون من خلال إطاراتهم ومتخصّصيهم الإعلاميين والدّعاة المتمرّسين؛ قد أحسنوا استثمار هذه التكنولوجيا واستغلالها أحسن استغلال في خدمة الأسرة ومن ثمّ في خدمة الدّعوة والثّقافة الإسلامية، ممّا يجعل هذه التقنية الإعلامية الاتصالية الحديثة تنعكس بالإيجاب لصالح المسلمين بدرجة أَوْلى ومن ثمّ على الإنسانية عامة، خاصّة وأنّ الإسلام رسالة عالمية لقول الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107].

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث؛ يمكن الخلوص إلى أنّ واجب الدّعوة الإسلامية يملي على القائمين عليها توسّل كل ما يمكن أن يكون أداة فعّالة في سبيل التّمكين لدين الله، شريطة أن لا تتنافى تلك الوسائل مع الدّعوة ومبادئها الربّانية ولا تتعدّى حدودها الشّرعية، بناء على القاعدة الأصولية القائلة: (**ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب**)، وقاعدة: (**شرف الغاية بشرف الوسيلة**)، وفي هذا تميّز وتمايز عن نظرية الغرب الميكيافيلية القائلة: (**الغاية تبرّر الوسيلة**).

إنّ الإسلام رسالة ربانية وعالمية وواقعية تتماشى ومتطلبات الواقع وتتكيَّف معه في غير ما تَماهٍ فيه ولا عزلة عنه، لذا عمل العلماء والمفكرون والباحثون والدّعاة المسلمون في سبيل الدّعوة إلى الله والتمكين لدينه؛ على استثمار فتوحات التكنولوجية الحديثة في شقّها الإعلامي والاتّصالي لخطورتها وأهميتها الكبيرة حتّى وإن كانت من اختراع الغرب الذي يسعى جاهدا لتوظيفها لضرب الدّعوة والثّقافة الإسلامية وعرقلة سيرها بشنّ حَمْلات التّشويه والإساءة إليها للصدّ عنها والقضاء عليها في عقر دارها.

فهذا الأمر جعل علماء الإسلام ودعاته يتعاونون مع الإعلاميين المتخصّصين، ويجتهدون في تسخير تكنولوجيات الإعلام والاتصال لخدمة الدّعوة والثّقافة الإسلامية وإظهار جانبها الإيجابي الفعّال في الكثير من المجالات بدءً بالدين الإسلامي، واللغة العربية، والأسرة، هذه المجالات التي تمثّل دعائم متينة للدّعوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والثّقافة الإسلامية التي أقامها نبينا محمّد ﷺ ومن بعده صحابته الكرام والتّابعون وتابعوهم من خيرة القرون الأولى.

فحسن توظيف المسلمين لتكنولوجيات الإعلام والاتصال الحديثة لخدمة تلك الرّكائز وغيرها، هي خدمة مباشرة للدعوة والثقافة الإسلامية، وهنا تتجلّى أهمّية تكنولوجيات الإعلام والاتصال وبخاصّة لَمَّا تجد الكفاءات التي تستشعر واجبها الشرعي ومسؤولياتها الوظيفية، وتعزم بإخلاص لله تعالى في التّجسيد الأمثل لها؛ وسيوفقهم الله تعالى إلى تذليل الصّعوبات وتحقيق المعجزات، وسيرون أمام ناظريهم ما لم يكن في الحسبان؛ من بُدُوِّ ثمار الخير والفضيلة وسيادة الطمأنينة السعادة، وحينها تعمّر الأرض ويتحقق الاستخلاف فيها، فتسعد البشرية بكلّ أديانها وأجناسها وأعراقها وألوانها، وتعمّ الرّحمة الإنسانية جمعاء بسيادة دين الإسلام الذي أوحاه الله إلى رسول الله ﷺ.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أ- كتب السنّــة:

1- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة: 1406هـ/1985م.

2- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2: 1395هـ/1975م.

ب- المعاجم:

3- أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، 1979م الجزء الثاني(2).

4- أحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1: 1879م، الجزء الرابع عشر(14).

5- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصّحاح، تحقيق: الدّكتور أيمن عبد الرزّاق الشّوا، دار الفيحاء للنّشر والتّوزيع، سورية، دمشق، دار المنهل ناشرون، سورية، دمشق، ط1: 2010م.

6- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، طبعة: 1406هـ/1986م، الجزء الثالث والعشرون(23).

7- محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله أبو القاسم، أساس البلاغة، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط1: 2006م.

8- قاموس المنجد فرنسي عربي، دار المشرق، بيروت، ط1: 1972م.

9- شوقي ضيف، مجمّع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، القاهرة، جمهورية مصر العربيّة، ط4: 2004م.

ج- الكتب العامّـة:

10- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي ابن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2 :1420هـ/1999م، الجزء الثالث (3).

11- علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، لبنان، ط1: 1417هـ/1997م، الجزء الثاني (2).

12- شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد -الاتصال والمجتمع اليوم وغدا- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة: 1981م.

13- أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم- دراسة نقدية- دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، ط1: 2009م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14- مصطفى بن حسني السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، (د ت)، (د ط).
15- شوقي أبو خليل، قراءة علمية للقراءات المعاصرة، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1: 1990م.
16- محمّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1997م، الجزء الأول (1).
17- إبراهيم إسماعيل، الإعلام المعاصر - وسائله، مهاراته، تأثيراته، أخلاقياته-، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط1: 2014م.
18- أحمد محمود عيساوي، الدّعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية - آفاقها ووسائلها الدّعائية- دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، ط1: 1437هـ/2016م.
19- أحمد محمود عيساوي، مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1: 1437هـ/2016م.
20- حسين عبد الغني أبو غدّة، الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة وحقوق الإنسان، جامعة الملك سعود -النشر العلمي والمطابع-، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة: 2014م.
21- نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4: 1406هـ/1986م.
22- عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة الإسلاميّة، مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط9: 2002م.
23- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة - دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدّعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل-، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، شارع سوريا، ط3: 1995م.

د- المجلات:

24- حديد يوسف وبراهمة نصيرة، مقال بعنوان: "تكنولوجيا الاتصال الحديثة واختراق الخصوصية الثقافية للأسرة الحضرية الجزائرية"، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (17)، ديسمبر 2014م.

هـ- الشّبكة العنكبوتية:

25- سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية، مقال نشر بتاريخ: 28 ماي 2006م، على الرابط: http://www.diwanalarab.com.
26- وليد قصاب، اللغة العربية في وسائل الإعلام، مقال في شبكة الألوكة، الرابط: https://www.alukah.net، تاريخ الإضافة: 2015/6/4م.
27- أحمد الشايب، وسائل الإعلام الإسلامي ودورها في خدمة الدّعوة إلى الله، مقال في شبكة الألوكة، الرابط: https://www.alukah.net، تاريخ الإضافة: 2014/03/06م.
28- عطاء المتين، ما أحوجنا إلى الإعلام الإسلامي، مقال في شبكة الألوكة، الرابط: https://www.alukah.net، تاريخ الإضافة: 2011/12/18م.

الهوامش:

(1) ينظر: شون ماكبرايد، أصوات متعددة وعالم واحد -الاتصال والمجتمع اليوم وغدا- الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، طبعة: 1981م، ص17و19.

(2) قاموس المنجد فرنسي عربي، دار المشرق، بيروت، ط1: 1972م، ص895، نقلا عن: أحمد محمود عيساوي، الدعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية -آفاقها ووسائلها الدعائية-، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، طبعة: 1437هـ/2016م، ص126.

(3) حديد يوسف وبراهمة نصيرة، تكنولوجيا الاتصال الحديثة واختراق الخصوصية الثقافية للأسرة الحضرية الجزائرية، مقال نشر في: مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد(17)، ديسمبر 2014م، ص261.

(4) أحمد محمود عيساوي، الدعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، طبعة: 1437هـ/2016م، ص 128و129.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(5) ينظر: شوقي ضيف، مجمّع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشّروق الدّولية، مصر، القاهرة، ط4: 2004م، ص624.

(6) مرعي مدكور، الإعلام الإسلامي الطباعي في البلاد غير الإسلامية، دار المعارف، القاهرة، 1987م، ص95، نقلا عن: أحمد عيساوي، مدخل إلى الإعلام والاتصال، دار الكتاب الحديث، القاهرة، ط1: 1437هـ/ 2016م، ص 97، 98.

(7) محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص28، 29، نقلا عن: أحمد عيساوي، مدخل إلى علوم الإعلام والاتصال، ص34.

(8) ينظر: أحمد عيساوي، الدعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية، ص71.

(9) ينظر: أحمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج14، ص258-262، وينظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص279و280.

(10) عبد الكريم زيدان، أصول الدّعوة الإسلاميّة، مؤسسة الرّسالة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت، لبنان، ط9: 2002م، ص5.

(11) محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدّعوة - دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدّعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ووسائلها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل-، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، شارع سوريا، ط3: 1995م، ص17.

(12) أحمد محمود عيساوي، الدّعوة الإسلامية في قرن التكنولوجيات العولمية، ص22.

(13) محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزَّبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، مطبعة حكومة الكويت، طبعة: 1406هـ/1986م، ج23، ص60.

(14) حسين عبد الغني أبو غدّة، الثقافة الإسلامية والتحديات الفكرية المعاصرة وحقوق الإنسان، جامعة الملك سعود -النشر العلمي والمطابع-، الرياض، المملكة العربية السعودية، طبعة: 1435هـ/2014م، ص2.

(15) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط4: 1406هـ/ 1986م، ص17.

(16) ينظر: عطاء المتين، ما أحوجنا إلى الإعلام الإسلامي، مقال في شبكة الألوكة: https://www.alukah.net، تاريخ الإضافة: 2011/12/18م.

(17) ينظر: أحمد الشايب، وسائل الإعلام الإسلامي ودورها في خدمة الدّعوة إلى الله، مقال في شبكة الألوكة/https://www.alukah.net، تاريخ الإضافة: 2014/03/06م.

(18) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد أبو الحسن عز الدين ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1: 1417هـ/ 1997م، ج2، ص298.

(19) إبراهيم إسماعيل، الإعلام المعاصر-وسائله، مهاراته، تأثيراته، أخلاقياته-، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، ط1: 2014م، ص227.

(20) مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، الموطأ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، طبعة: 1406هـ/1985م، كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر، ج2، ص899، حديث رقم: 03، ورد في الموطأ بلفظ: عن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله ق قال: (**تركت فيكم أمرين، لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة نبيه**).

(21) إسماعيل بن كثير الدمشقي أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط2: 1420هـ /1999م، ج3، ص26.

(22) محمّد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1: 1997م، ج1، ص133.

(23) ينظر: أحمد نصري، آراء المستشرقين الفرنسيين في القرآن الكريم- دراسة نقدية- دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، ط1: 2009، ص1و2.

(24) ينظر: مصطفى بن حسني السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، (د ت)، (د ط)، ص20و30.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(25) شوقي أبو خليل، قراءة علمية للقراءات المعاصرة، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1: 1990م، ص18، 19.

(26) ينظر: سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية، مقال نشر بتاريخ: 28 ماي 2006م، على الرابط: http://www.diwanalarab.com.

(27) محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمّد البشير الإبراهيمي، ج1، ص134.

(28) وليد قصاب، اللغة العربية في وسائل الإعلام، مقال في شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/6/4م، على الرابط: https://www.alukah.net.

(29) المرجع نفسه، وليد قصاب، اللغة العربية في وسائل الإعلام، شبكة الألوكة.

(30) سلطان بلغيث، وسائل الإعلام واللغة العربية، مقال نشر بتاريخ: 28 ماي 2006م، على الرابط: http://www.diwanalarab.com.

(31) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2: 1395هـ/ 1975م، باب: ما جاء في اللعنة، ج4، ص350، الحديث رقم: 1977، قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد روي عن عبد الله من غير هذا الوجه، وقال محمد شاكر: وقد صححه الألباني.

(32) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في المداراة، ج4، ص359، الحديث رقم: 1996، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(33) أخرجه الترمذي في سننه، باب: ما جاء في الفحش والتّفحّش، ج4، ص349، الحديث رقم: 1974، وحكم الألباني بصحّته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com